

## ايليا النصيبني (٩٧٥-١٠٤٦)

(مقال للاب سميير خليل في مجلة "المشرق" تموز-كانون اول ٢٠٠٢ ص ٤٤٣-٤٥٨)

يعتبر ايليا مطران نصيبين، المعروف بايليا بن السني، من المع شخصيات الكنيسة المشرقية في القرن الحادي عشر. كان ايليا، مع صديقه الكاهن عبدالله بن الطيب المشرقي، الطبيب والفيلسوف واللاهوتي والمفسر العلامة المتوفى سنة ١٠٤٣، ممن رفع عاليا لواء المسيحية في انحاء الشرق. ويعتبر ايليا من أئمة الفكر العربي في عصره، وان لم يشتهر شهرة ابن الطيب لاهتمامه بالامور الدينية والعرفانية اكثر منه بالامور العلمية والفلسفية.

### اولا - حياة ايليا

#### ١. نشأته

وُلد ايليا يوم الخميس ١١ شباط سنة ٩٧٥م، في السنّ، وهي قرية قريبة من الزاب الاصغر، تابعة لابرشية تكريت، تبعد عن تلك المدينة نحو ٣٥ كم شمالا. وعندما بلغ التاسعة عشرة، رسمه المطران نتنايل كاهنا، وعينه رئيسا على دير مار سمعان. وكان ذلك يوم الاحد ١٥ ايلول العام ٩٩٤م.

وبعد سنتين، أي في ٩٩٦، انتقل ايليا الى دير مار ميخائيل، بالقرب من الموصل. وتلمذ على يد احد الرهبان المثقفين، يدعى يوحنا الاعرج. فاكمل معه دراساته العلمية والادبية والفلسفية واللاهوتية؛ وكانت الدروس الكهنوتية عند المشاركة تشمل: العلوم، الرياضية، والطب، والمنطق، واللاهوت، والتفسير.

#### ٢. سيامته مطرانا

ولما توفي البطريرك، اجتمع الرأي على اختيار المطران نتنايل جاثوليقا (أي بطريركا) على الكنيسة المشرقية. فتم تنصيبه يوم الاحد ٢٦ تشرين اول سنة ١٠٠٠م، وسمي باسم يوحنا الخامس بن عيسى.

ولم تعبر سنة وربع سنة، حتى رسم البطريرك الجديد ايليا مطرانا على ابرشية "بيت لهاذرة". وكان عندئذ ابن ٢٧ سنة. فتمت الرسامة يوم الاحد ١٥ شباط سنة ١٠٠٢.

ثم توفي "يهبالاها" مطران نصيبين، يوم الاربعاء ٣ كانون الاول سنة ١٠٠٧. فخلا الكرسي الاسقفى سنة وثلاثة اسابيع، ولم يجد البطريرك من ينوب مكان "يهبالاها" من الرهبان ويكون كفاء لهذا المنصب، نظرا الى أهمية هذا الكرسي. وكانت نصيبين آنذاك أهم الايبارشيات

المشرقية، ومركز اشعاع للفكر المسيحي. فدعي ايليا، والتجأ اليه. واضطر الى ان ينقله من "بيت  
مهاذرة" الى نصيبين. ولم يعترض احد على هذا الاختيار، لحسن سيرته ووزير علمه. وتم تنصيبه يوم  
الاحد ٢٦ كانون الاول سنة ١٠٠٨م.

### ٣. نشاطه الفكري

لما وصل ايليا نصيبين، وجد في المطرانية مكتبة عامرة، علمية ودينية. فظل يتابع نشاطه  
الرعوي والروحي، ولكنه لم يهمل النشاط العلمي. وسار على خطى الآباء الأولين، الذين كانوا  
رجال زهد ورجال علو في آن واحد.

فأخذ يؤلف كتباً في شتى الميادين. وله مؤلفات قيّمة في اللغة، والتاريخ، والمنطق، والعلوم  
والفلسفة. كما أن له مؤلفات أدبية اخلاقية روحية ممتازة. وكتابه في تاريخ العالم، الذي وضعه سنة  
١٠١٩م باللغتين السريانية والعربية، كان من أفضل التواريخ المعروفة.

ولكنه اعتنى اعتناءً خاصاً بالدفاع عن الدين المسيحي دفاعاً هادئاً، بعيداً عن روح  
المجادلات. فشرح عقائد النصرانية (الثالوث والتوحيد والتجسد، وقانون الايمان، والامور الاخرى  
الفلسفية المرتبطة بالدين) لصديقه الوزير ابي القاسم الحسين بن علي المغربي، ومن خلاله لكبار  
المفكرين الذين كانوا يفتنون الى مجلس الوزير.

وكان اذا هوجم، لا يهاجم، بل يدافع عن عقيدته بدون تعصب او مجادلة كما فعل لما دافع  
عن العفة المسيحية اجمل دفاع رداً على رأي الجاحظ. ويكاد لا يخلو كتاب من كتبه من الطابع  
الدفاعي. وان كان اسلوبه هادئاً لينا، الا ان افكاره كانت دائماً جريئة، بعيدة كل البعد عن  
الخوف او التملق.

### ٤. نهاية حياة ايليا

تابع ايليا نشاطه العلمي والثقافي، الى جانب خدمته الرسولية، طوال عشرين سنة. فإنه أُلّف  
في تلك المدة، اكثر من عشرة مؤلفات، باللغة العربية، إضافة الى ما وضعه باللغة السريانية.  
وفي يوم الجمعة ١٨ تموز سنة ١٠٤٦م، توفي ايليا السنّي، في الثانية والسبعين من عمره،  
بعد ان دافع عن ايمانه احسن دفاع.

### ٢- مؤلفات ايليا أسقف نصيبين

من الرقم ١ الى ٧ تكون كتاب المجالس:

- ١- المجلس الأول: وحدانية الله وثلاثية أقانيمه.
- ٢- المجلس الثاني: التجسد والوحدة الأَقنومية.
- ٣- المجلس الثالث: الإيمان بالله الواحد عند المسيحيين بحسب القرآن.
- ٤- المجلس الرابع: البرهان على إيمان المسيحيين بالعقل والعجائب.
- ٥- المجلس الخامس: الاعتراف بإيمان التوحيد عند ايليا أسقف نصيبين.
- ٦- المجلس السادس: في قواعد اللغة والمفردات والخطوط واللاهوت.
- ٧- المجلس السابع: رأي المسيحيين عن علم النجوم، المسلمون والنفس.

- ٨- المراسلة بين إيليا والوزير.
- ٩- رسالة في وحدانية الخالق وتثليث أقانيمه.
- ١٠- رسالة في الخالق.
- ١١- رسالة عن خلق العالم، وحدانية وثلاثية الله.
- ١٢- دراسة حول معنى كلمة " كيان " و " إله ".
- ١٣- كتاب البرهان على صحيح الإيمان.
- ١٤- مقالة في نعيم الآخرة.
- ١٥- همسات شكوك وأجوبيتها.
- ١٦- رسالة في فضيلة العفاف.
- ١٧- كتاب دفع المهم.
- ١٨- الحكم النافعة للنفس والبدن.
- ١٩- تسبحة مار إيليا.
- ٢٠- تفسير الأمانة الكبير.
- ٢١- كتاب الأزمنة.